



مختصر خطبة صلاة الجمعة 25 / 3 / 2022 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(الشفقة على الخلق عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها)

حديث اليوم عن الشفقة على الخلق عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها، وإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1- أخرج البخاري في صحيحه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي أَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَطُولَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بَكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» قال الشَّراح: (هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى شَفَقَتِهِ ﷺ وَلُطْفِهِ بِأُمِّهِ، وَقَدْ نَبِهَ بِهَذَا عَلَى أَنْ الْأَوَّلَى بِالْأُتَمَّةِ التَّخْفِيفُ، وَأَنَّهُ لَا يَكَادُ يَخْلُو بَعْضَ الْمَأْمُونِينَ مِنْ أَمْرٍ يَشْغَلُ قَلْبَهُ).

2- عقد الإمام مسلم في صحيحه باباً كاملاً يتحدث فيه عن شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَى أُمِّهِ وَمُبَالِغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ، وَمِمَّا أَخْرَجَ فِيهِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ أُمَّتِي كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِجُحْرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ». قال أبو منصور الماتريدي في تفسيره: (وقد كان عليه الصلاة والسلام مُشْفِقاً بِأُمِّهِ رَحِيماً، حَتَّى بَلَغَتْ شَفَقَتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَحُزْنُهُ عَلَى كُفَّارِ قَوْمِهِ مَبْلَغاً كَادَتْ نَفْسُهُ تَهْلِكُ فِيهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾، فَالرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانُوا إِذَا أُذُودُوا لَمْ يَكُونُوا يَحْزَنُونَ لِمَكَانِ أَنْفُسِهِمْ بِمَا أُذُودُوا، بَلْ كَانُوا يَحْزَنُونَ لِمَكَانِ مَنْ يُؤْذِيهِمْ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمُ الْهَلَاكُ وَالْبَوَارُ بِإِيذَانِهِمْ رَسُلَ اللَّهِ تَعَالَى).

والحاصل أن الشفقة على الخلق خُلُقُ النَّبِيِّ ﷺ، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون خلقك، وأن تكون معروفاً بذلك.

- تزوجا فطلبت طلاقاً بعد ثمانية عشر شهراً؛ لأنها وجدت نفسها في بيت أبيها أكثر راحة منها في بيت زوجها، وآزرها أبوها وأمها في طلبها، ولأنه ألّفها وأوى إليها ولأنها حامل، حاول زوجها كفّها عن مرادها فلم تكف.

وقع الطلاق والحمل في شهره السادس، فلما وضعت اتصل أبوها به من المشفى ليعلمه أن الوليد موجود في غرفة المواليد، وبإمكانه مراجعة المشفى لأخذه، أسرع الخطأ ليجد الطفل عند الممرضة فاستلمه مدهوشاً سائلاً: ألا تريد أمه أن تراه؟ فقالوا له: لا، ألا تريد أن تضعه على صدرها في ساعاته الأولى؟ فقالوا: لا، خرج به من المشفى لا يدري ماذا يفعل؟ أوصله إلى أمه العجوز التي اعتنت به وربّته، وإن تعجبوا فاعجبوا من مرور أكثر من عشر سنوات على هذه الحادثة، ومن ذلك اليوم لم تتصل تلك المرأة التي نقول عنها أم، لتسأل عن روح انفصلت منها هل هي بخير أو ليست كذلك؟! الشفقة رعاية ممزوجة بخوف، ولا تُنزعُ الشفقة إلا من شقي.

- مات زوجٌ وترك زوجة وصبيين، فإذا بأم الزوج المتوفى وإخوانه يُنذرون الكنة بأنها يجب أن تخلي لهم البيت بعد انتهاء أيام العدة مباشرة مع أن الكنة لا أهل لها في هذه البلدة تأوي إليهم، ولا دار لها غير هذه الدار، والحماة والأحماء في وفرة من المال وسعة. إنها الشفقة رعاية مختلطة بخوف، ولا تنزع الشفقة إلا من شقي.

- اتصلت بي أم لتخبرني أن ابنها ذا الخامسة والعشرين عاماً منذ أن نزل بالبلد ما نزل يسعى جاهداً لعون الناس، متأماً لحالهم مشفقاً عليهم، ولم ينم على سريره الوثير منذ ذلك الحين ولكنه ينام في شرفة المنزل على فراش وغطاء بسيطين، يستحيي من الله أن يراه في راحة وبجوحة وفي الناس ما فيهم من آلام وحاجة. إنها الشفقة رعاية مختلطة بخوف، ولا تنزع الشفقة إلا من شقي. يعينك على التحلي بالشفقة على الخلق ثلاثة: الذكر والحب والصحة.

والحمد لله رب العالمين